والده برزانة وبهيئة جدية ثم تفرس في وجهه وقال له « قد اعتاد بابا أن يأمر جاك بالوقوف في الزاوية اذا احتد وقال مثلما قال بابا » ففهم القسيس ماكان يدور في ضمير ولده وقال له بلهجة النادم المتأسف المستحق للقصاص « صدقت ياجاك فبابا يستحق نفس القصاص فأين تريد ان أقف » فأومى له جاك الى احدى زوايا الغرفة فقام القسيس بجلالة قدره اليها وهو يخاطب زواره بلغة لا يفهمها جاك الا يضحكوا لئلا يستخف الولد بالقصاص فيما بعد . أما جاك فلما رأى أباه يظهر الطاعة والندامة ابتسم وقال « ان جاك يسامح بابا لانه أطاع ولانه يريد الا يعود لمثل عمله مرة أخرى » ثم انصرف جاك وعاد القسيس الى حديثه مع زواره وقد أثر فيهم ما رأوه أحسن تأثير

ومن هذا القبيل ماتوقم لولدى عند ما كنت واياه في بيت والدزوجي وكان ولدي اذ ذاك في الثالثة من عمره فسمع يوماً عمه يشتم خادماً فترك لعبه وتقدم اليه بهيئة الجد وقال له « نديم يحب عمه لكن نديم يقول له أيضاً تب يقف في الزاوية ثم يطلب العفو من الخادم » فتعجب عمه من فطنته ولطفه وعدله وفعل كما قال له واجتهد فيما بعد الا يستحق قصاص ابن أخيه .

﴿ السمك الطيار ﴾

ان السمك الطيار الذي يوجد منه كثيراً في الاوقيانوس هو من غرائب المخلوقات البحرية التي حارت عندها عقول الباحثين فالمرء يتعجب طبعاً من هذا التناقض العظيم ويقف مدهوشاً لا يدري حل هذه المسألة وهي كيف يرتفع حيوان بحري عن سطح البحر الذي خلق ليعيش فيه ثم يعلو في الهواء بغتة ولا يعود منه الى الماء مقره الطبيعي حيث يتنفس

ويغتذي وينمو الا بعد أن يكون قد قطع في الجو مسافة ليست بقصيرة

ومسألة كهذه لانهم علماء الطبيعة فقط أو السائحين الذين قطعوا المناطق الحارة ورأوا هذه الاسماك رأي العيان فهي تهمهم أيضاً كل من قرأ عنها أوسمع بها ولهذا أحببنا البحث فيها وتقرير أراء العلماء في تعليل هذا الطيران ضاربين صفحاً عن ذكر أنواع هذه الاسماك الطيارة وأوصافها هربا من ملل القارئ الكريم فنقول :

لقد تضاربت أفكار علماء الحيوان في تفسير هذا الطيران فمنهم من قال انه عبارة عن وثبة وبرهانهم على هذا ان السمكة الطيارة حالة كونها في الهواء لاتحرك أجنحتها مطلقاً فهي تصل الي منتهى المسافة التى تمكنها قوة وثبتها من الوصول اليها ثم تسقط بالتتابع الى أن تعود الى عنصر حياتها الاول دون ان تقدر على الارتفاع في الجو بحركة أجنحتها . لكن هذا البرهان لايقوى على البحث لان عدم تحريك الاجنحة لايدل على عدم الطيران فالعقاب وغيره يبقى محلقاً في الجو زمناً عن عدم تحريك أجنحته . ثم كيف يمكننا ان نسلم بوثبة يرتفع بها صاحبها أكثر من عشرين قدماً ويظل قاضاً بقوة استمرارها نحو اربعمائة أوثلاثمائة متر في الهواء . ومن الطبيعيين من قال انه طيران اعتيادي وهذا ايضاً لايمكن التسليم به لمن لاحظ تركيب اجنحة تلك الاسماك وشاهد عضلاتها والاصح ان حركة هذه الاسماك في الهواء هي مؤلفة من الوثوب والطيران معاً فالسمكة تبتدي بالقفز عن سطح البحر ثم تستعمل اجنحتها وهي منبسطة في الهواء لحفظ مركز جسدها فيه كي لاتقع وتنتفع بها كما ينتفع الرجل الواقع بمظلة البراشيت

ثم اذا تأملنا في الاعضاء الداخلية عند كل الاسماك نرى بينها مشابهة

ممتلئة غازاً تساعدها على العوم والغوص متى شاءت ونرى أيضاً في أفواهها غشاء يمكن انتفاخه بواسطة القناة السمعية او مجرى السمع ولا يستبعد كون هذين العضوين يساعدان الاسماك الطيارة في حركتها لانهما ينتفخان فيكبران حجم اجسادها مع بقاء ثقلها على حاله

وهنا نذكر أيضاً نقطة مهمة تدل على ان حركة هذه الاسماك ليست فقط مجرد وثوب بل هي برهان على طيران حقيقي وهي ان كل سمكة طائرة تقدر ان تنحرف متى شاءت عن خط حركتها الاولى وربما دارت في الهواء احياناً . وعدا عن ذلك انه يسمع لاجنحتها حفيف مخصوص يدل على خفقانها وقد ذكر البعض مؤكداً بانه رأى تلك الاجنحة وهي تنبسط وتنقبض كاجنحة الطير .

وهذه الاسماك تطير ذرافات بحيث انها تخدع عين الرائي اليها احياناً فيخالها في أول الامر سرب طيور بيضاء لولا لمعان قشورها خصوصاً عند ما تنعكس عليها اشعة الشمس وبذلك يستدل على حقيقة ماهيتها . وظهورها يونس عين البحري او المسافر مدة ان تكون قد تعبت من طول مشاهدة الماء والسماء في تلك البحار المتسعة

اما حياة هذه الاسماك فانها توجب الشفقة لاول وهلة لتعاستها وسواء طالعها فهي تفر من اعدائها البحرية كالدلفين وغيره التي تطاردها طلباً لافتراسها فتعمد الى الهرب منه صعوداً الى الهواء وهناك تقع المنكودة الحظ في افواه أعدائها الهوائية التي تلتهمها غنيمة باردة لكن هذه الشفقة لاتلبث ان تتبدل بالتشفي عند من يعلم بانها هي ذاتها عندما تكون مطمئنة من غدر أعدائها الاتبقى على الاسماك الاصغر منها فسيحان من قسم الارزاق